علم اجتماع التلقي (الجيل الأدبي)

تمهيد:

منذ القرن التاسع عشر شهد النقد الأدبي ثورة مفاهيمية و مقارباتية، تنوعت و تضاربت على إثرها المناهج النقدية ، التي لم تعد تخفي الانتماء الإيديولوجي الذي يبصم اشتغالها و تعاطيها مع النصوص ، و بذلك بدت المناهج النقدية معبرة في كير من الأحيان عن مختلف ألوان الطيف السياسي و الإيديولوجي التي كانت سائدة آنئذ ، و كان ضروريا أن ينتظر الأدب إلى حدود منتصف القرن الماضي إمكان الحديث عن نقد أدبي موغل في العلمية و متحرر من الإيديولوجيا، لتتوزع المناهج النقدية هذه المرة على العلوم الإنسانية بدل الأطياف الإيديولوجية ، و يظهر النقد السيكولوجي و السوسيولوجي و البنيوي و الشكلاني...

- أولا: النقد السوسيولوجي:

ويمكن القول بأن النقد السوسيولوجي قد خدم الأدب أكثر من باقي المناهج النقدية الأخرى، بل إن أغلب القراءات العلمية والرصينة للأدب كانت قادمة من رحم النقد السوسيولوجي أو على الأقل متأثرة به. فعلى امتداد تطورات هذا النقد من حيث تجديد الأدوات والصيغ المحتملة لدراسة النص الأدبي بدا النقد السوسيولوجي الأقرب إلى قراءة النصوص في اتصالها الوثيق مع تربة الواقع الذي أنبتها وجعلها تبدو في صورة هذا الجنس أو غيره.

أهمية النقد السوسيولوجي لا تكمن فقط في وجاهة مقارباته للنصوص، بل تتحدد أيضا في كونه ساهم إلى حد كبير في التأصيل العلمي لسوسيولوجيا الأدب، فالنقد السوسيولوجي سابق على التأسيس العلمي لهذا الفرع من السوسيولوجيا العامة، إن التراكم الذي خلقه هذا النقد هو الذي أوجب ضرورة توسيع حقول الاشتغال وتطوير آلياته على درجة التخصص المعرفي والتوزع بالتالي على مباحث تخصصية أخرى كسوسيولوجيا القراءة مثلا.

- ثانيا: الأجيال الأدبية:

يعتبر مفهوم الجيل من المفاهيم المركزية داخل مطبخ سوسيولوجيا الأدب ، فالجيل لا يشير فقط إلى التحقيب الزمني ، بل يدل أيضا على الملامح الاجتماعية التي تبصم أدبا و مجتمعا بعينه ، و بذلك فالجيل الأدبي يتخذ معنى الجماعة من المبدعين الذين تتوحد أو تتركز انشغالاتهم الأدبية و المعرفية حول موقف أو قضية محددة ، الشيء الذي يقودهم نحو تعميق النقاش حول ذات القضية و إنتاج طروحات متقاربة أو مختلفة بصددها ، و هو ما يؤدي ختاما إلى تبلور تيار إبداعي تنتجه الشروط السوسيوسياسية حتما، و بذلك يصير مفهوم الجيل دالا على التحولات و التغيرات التي يعرفها المشهد المجتمعي في كليته.

فالأجيال الأدبية التي لاحت في تاريخ الأدب ما هي إلا ترجمة " أدبية " لما كان يجيش به المجتمع المحلي، فالدرس السوسيولوجي الأدبي يلح كثيرا على الربط بين المتغيرات الخارجية والإنتاجات الأدبية، فقراءة المجتمع في زمن ومكان ما تغدو ممكنة عبر قرائح الأدباء.

والسؤال المركزي الذي يطرحه الدرس السوسيولوجي في دنيا الأدب وذلك اتصالا بمفهوم الجيل، يتحدد بالضرورة في الشروط المنتجة للجيل كجماعة ومواقف، بما تعنيه هذه الشروط من آليات إنتاج وإعادة إنتاج، في سياق التبادلات الرمزية والمادية للفعل الثقافي، مع استحضار كل عوامل التأثر والتأثير التي يفرضها التقاطب والتداخل مع ما هو مجتمعي، هذا بالإضافة إلى محاولة فهم

إمكانيات الانبناء والتعاقب الجيلي. فما الذي يعنيه تعاقب الأجيال الأدبية؟ وما الذي يعنيه انبناء جيل أدبي على أنقاض سابق منته إلى زوال؟ وما الديناميات المتحكمة في الولادة والانتهاء؟

مراجع المحاضرة:

- حبيب مونسي: نظريات القراءة في النقد المعاصر، منشورات دار الأديب.
- روبير إسكاربيت: سوسيولوجيا الأدب، عويدات للنشر والطباعة، بيروت، لبنان، ط3، 1999.